﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: 22 - 24]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقال من أدلَّة العظمة الإلهيّة إلـى صفاتها وأسمائها

لمّا تحدَّثت السّورة عن جلال القرآن الكريم، وعظيم أثره في المخلوقات، ومعلوم أنّ عظم الصّفة تابع لعظم الموصوف، ويُلاحظ ذلك بتكرُّر ذِكرِ اسم الله وضمائره وصفاته أربعين مرَّة في السّورة، منها أربع وعشرون بذكر اسم الجلالة، وستَّ عشرةَ مرّة بذكر ضميره الظّاهر، أو صفاته العليّة، وكان ما تضمّنته السّورةُ دلائل على عظيم قدرة الله وبديع تصرُّفه وحكمته، فناسب ذلك كلَّه أن يعقبه بذكر طائفة من عظيم صفات الله ذات الآثار العديدة في تصرُّفاته المناسبة لغرض السّورة؛ زيادةً في تعريف المؤمنين بعظمته المقتضية للمزيد من خشيته، وبالصّفات الحسنى الموجبة لمحبّته، وزيادةً في إرهاب المعاندين المُعرضين من صفات بطشه وجبروته، ولذلك ذكر في هذه الآيات الخواتم للسّورة من صفاته تعالى ما هو مختلف التعلّق والآثار، وما للفريقين حظٌّ يليق بهما منها[1]، وأن يختم السّورة ببيان انخراط الكون كلّه في تنزيهه وتسبيحه تسبيحًا دائمًا لا ينقطع، ولا يتوقَّف؛ ليتناغم الإنسانُ مع كون اللهِ الفسيحِ، ولا يشذَّ عنه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: (غيب) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على تَسَتُّرِ الشَّيءِ عَنِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 117، 118.

العُيونِ، مِن ذَلِكَ الغَيْبُ، وهوَ كُلُّ ما غابَ عَنْكَ مِمّا لا يَعْلَمُهُ إلّا اللّهُ[1]، ويُستعمَل في كلِّ غائِبٍ عن الحاسّة، وعمّا يَغيبُ عن علم الإنسان بمعنى الغائِبِ، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل: 75]، ويُقال للشَّيء: غَيْبٌ وغائِبٌ باعتباره بالنّاس لا باللّه تعالى، فإنّه لا يغيب عنه شيء، كما لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السّماوات ولا في الأرض، وقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، أي: ما يغيب عنكم وما تشهدونه، والغَيْب في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: 3]، ما لا يقع تحت الحواسّ، ولا تقتضيه بداية العقولُ[2].

2) ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: (شهد) أصْلٌ يَدُلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعْلامٍ[3]، ومنه الشُّهودُ والشَّهادَةُ، أي: الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر، أو بالبصيرة، وقد يُقال للحضور مفردًا، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [السجدة: 6]، لكن الشّهود بالحضور المجرّد أولى، والشّهادة مع المشاهدة أولى[4].

3) ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: (قدس) أصْلٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ على الطُّهْرِ، ومِن ذَلِكَ الأرْضُ المُقَدَّسَةُ وهيَ المُطَهَّرَةُ، ومن أسماء اللّهِ تعالى القُدّوسُ، وهو فُعّولٌ من القُدْسِ، وهو الطّهارة؛ لأنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الأضْدادِ والأنْدادِ، والصّاحِبَةِ والوَلَدِ، تَعالَى اللّهُ عَمّا يَقولُ الظّالِمونَ عُلوًّا كَبيرًا[5].

4) ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: (برئ) يدلُّ على الخَلْقِ، يُقالُ: بَرَأ اللّهُ الخَلْقَ يَبرَؤُهُم بَرْءًا، والبارِئُ: اللّهُ جَلَّ ثَناؤُهُ، قالَ تَعالَى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: 54]، وقال: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[6]، أي: الموجد للأشياء إيجادًا بريئًا من التّفاوت، وقيل: المميّز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة[7].

المَعْنى الإجْماليُّ:

تُختَم سورةُ الحشر بذكر طائفة من أسماءِ اللّه، الّتي تناسب ما ورد في السّورة من معان، فهو الإلهُ الواحد الّذي لا يشاركه غيره، المحيطُ بعلم جميع الأشياء ما غاب منها

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة: (غيب).
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (غيب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شهد).
(4) الرّاغب، مفردات القرآن: (شهد).
(5) الجوهريّ، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدس).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (برأ).
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 234.

وما حضر، الرّحمنُ: الّذي تنتظم رحمته جميعَ المخلوقات، الرّحيمُ: الّذي يختصّ برحمته من يشاءُ من أهل الطّاعات، وهو المالك لجميع الأشياءِ يتصرَّف فيها كيف يشاء، القدّوس: الطّاهر من كلِّ عيب وآفة ونقص، المنزّه عن القبائح، السّلام من كل سوءٍ وعيب، الّذي تُرجى عنده السّلامة من كلّ بلاءٍ، المؤمن: الّذي يهب الأمن لكلِّ خائف، ويوفّر الاطمئنان لكلّ مظلوم مقهور، المهيمن: المسيطر الّذي لا يعلو عليه أحد، العزيز: القادر الّذي لا يُقْهر، المنيع الّذي لا يرام، ولا يمتنع عليه مرام، الجبّار: العظيم الشّأن في الملك والسّلطان، المتكبّر: المستحقّ لصفات التّعظيم، المتعالي عن كلّ نقص ورذيلة، وهو الخالق: المقدّر للأشياء بحكمته، المحدث لها على إرادته، البارئُ: الموجد لها بريئة من التّفاوت، فلا ترى فيها اختلافًا ولا عدم تناسب، المصوّر: الموجد لصورها وأشكالها، كما أراد، هذه الأسماء الحسنى الّتي اختصَّ بها ذاته، ووضّح بها صفاته، ما ذكر منها، وما لم يذكر لدلالتها على المعاني الحسنة والفضائل العالية والكمال المطلق، يسبّح له بها، ويذكّره بترديدها كل ما في السّماوات والأرض من خلائق وأجرام بحاله أو بمقاله، وهو تعالى العزيز في ملكه، الحكيم في فعله، ليس كمثله شيءٌ، وهو السّميع البصير[1].

صـفـات الـلـه وأسـمـاؤه أدلَّـة راسخةٌ في بيان عـظـمـةِ الـلـه واستيلائه على خلقه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

تعيين مرجع الضّمير ﴿هُوَ﴾:

الضّمير ﴿هُوَ﴾ الّذي بُدِئت به الآياتُ الخاتِمةُ الّتي تتحدّث عن مُنزِل القرآنِ ﷻ، يحتمل أن يعودَ إلى اسم الجلالة العلم في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، وقد أوثر التّعبير عن الله تعالى بالضّمير لبداهة رجوعه إليه؛ إذ لا يُعبَّر عن غيره به، ولما يدلّ عليه مِن أنَّ وجوده سبحانه مِن ذاته، فلا عدمَ له أصلًا بوجهٍ من

لمّـا كـان شـأنُ الصّفات المذكورة عظيمًا؛ ناسب أن تبدأ بضمير الشّأن

(1) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 10/ 1370، وما بعدها.

الوجوه، ولا يستحقُّ الوصفَ بـ ﴿هُوَ﴾ أحدٌ غيره؛ لأنَّه الموجود دائمًا أزلًا وأبدًا، فهو حاضر في كلِّ ضمير، غائبٌ بعظمته عن كلِّ حسٍّ، فلذلك يتصدَّع الجبلُ من خشيته[1].

ويحتمل أن يكون الضّميرُ للشّأن، والكلامُ استئنافٌ قُصِد منه تعليمُ المسلمين هذه الصّفات؛ ليتبصَّروا فيها، وللردِّ على المشركين إشراكهم بصاحب هذه الصّفات معه أصنافًا ليس لواحد منها شيءٌ من مثل هذه الصّفات؛ ولذلك خُتِمت طائفةٌ منها بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ لتكون ختامًا لهذه السّورة الجليلة الّتي تضمّنت منّةً عظيمة، وهي منّة الفتح الواقع والفتح الميسّر في المستقبل، لا جرم أنّه حقيق بأن يعرفوا جلائل صفاته، الّتي لتعلّقاتها آثار في الأحوال الحاصلة، والّتي ستحصل من هذه الفتوح، وليعلم المشركون والكافرون من اليهود أنّهم ما تعاقبت هزائمُهم إلّا من جرّاء كفرهم، ولمّا كان شأنُ هذه الصّفات عظيمًا؛ ناسب أن تُفتتح الجملةُ بضمير الشّأن[2].

نكتة الجمع بين الضّمير واسم الجلالة:

اسمُ الجلالة هو أخصُّ الأسماءِ وأشهرُها، وهو الجامعُ للأسماء كلّها

كان مقتضى الظّاهر الاقتصارَ على الضّمير دون ذكر اسم الجلالة؛ لأنَّ المقصودَ الإخبارُ عن الضّمير بـ ﴿ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وبما بعده من الصّفات العليّة، إلّا أنّ النّظم الكريم عدل عن ذلك إلى ذكر اسم الجلالة العلم، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّه أخصُّ الأسماء وأشهرُها، وهو الجامعُ للأسماء كلِّها[3]، وهو الّذي يدعو رسولُ الله النّاسَ إلى عبادته، والإقرارِ بألوهيّته، ولأنَّ "الجمع بين الضّمير وما يساوي مُعادَةَ اعتبارٍ بأنَّ اسمَ الجلالة يجمع صفات الكمال؛ لأنَّ أصلَه الإله، ومدلول الإله يقتضي جميعَ صفات الكمال"[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 464.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 118.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 464.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 118.

سِرُّ التّعبير باسم الموصول:

تفخيمُ الموصوف ﷻ، وتعظيم شأنه بتشويق المتلقّي إلى صلة الموصول

قولُه: ﴿ٱلَّذِى﴾ اسمُ موصولٍ في محلّ رفع صفة لاسم الجلالة العلم، أوثر وصفه به تفخيمًا للموصوف ﷻ، وتعظيمًا لشأنه، وليتوصّل من خلال جملة الصّلة إلى قصر الألوهيّة عليه سبحانه، لا تتعدّاه إلى أحد غيره، يُزاد على ذلك ما في التّعبير باسم الموصول من إثارة وتشويق إلى جملة الصّلة، حتّى إذا وردت؛ استقرّت في النّفس، وتمكّنت منها فضل تمكُّنٍ، "فالنّفس إذا وقعت على كلام غير تامّ بالمقصود منه؛ تشوّقت إلى كماله، فلو وقعت على تمام المقصود منه؛ لم يبقَ لها هناك تشوُّقٌ أصلًا؛ لأنَّ تحصيلَ الحاصل محالٌ، وإن لم تقف على شيء منه، فلا شوق لها هناك، فأمّا إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض؛ فإنَّ القَدْرَ المعلوم يُحدث شوقًا إلى ما ليس بمعلوم"[1].

وجه تقديم صفة الوحدانيّة على غيرها:

توحيدُ اللهِ تعالى أصلُ كلِّ الصفاتِ، فإن صحّت؛ فقد سلم ما بعدها

ابتدأ النّظم الكريم هذه الصفات العليّة بصفة الوحدانيّة، وهي مدلول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ وذلك لأنّها الأصل فيما يتبعُها من الصّفات والأسماء، ولأنَّ توحيده سبحانه فرضٌ، وهو أساسُ كلِّ فريضة، وتوحيد سائر الأسماء نفلٌ، وهو أيضًا أساسُ كلّ نافلة، فمن وحَّد في الكلّ؛ فقد كمل دينه، وتمَّت النعمةُ عليه، ولذلك كثر في القرآن ذكرُها عقب اسم الجلالة، كما في آية الكرسيّ، وفاتحة آل عمران[2].

بلاغة القصر في جملة الصّلة:

التّخلية التّامة مقدّمة على التّحلية الكاملة ولا توحيد مع خفايا الشّرك

قُصِرَتْ صفةُ الألوهيّة في صلة الاسم الموصول: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ على ذات الله تعالى قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، بطريق النّفي

(1) العلويّ، الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 1/ 45.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 465، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 119.

والاستثناء؛ للإبلاغ في تأكيد وحدانية الله، وتقوية جدارته بالعبادة دون الآلهة الّتي عبدها الكفّار من دونه، والمعنى: هو المعبود الّذي لا تنبغي العبادة والألوهيّة إلّا له، الّذي لا إله إلا هو، فإنَّه لا مجانس له، ولا يليق، ولا يصح، ولا يُتصوَّر أن يكافئه، أو يدانيه أيُّ شيء؛ مهما كان، ومهما بلغ[1].

دلالة التّثنية بصفة العلم بعد التوحيد:

العلم دليل التّوحيد والإحاطة دليل الألوهيّة

ذكر البيانُ الكريم صفة علم الله تعالى الغيب والشّهادة بعد صفة التّوحيد في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾؛ لأنَّها الصفةُ الّتي تقتضيها صفةُ الإلهيّة؛ إذ إنَّ علم الله تعالى هو العلم الواجب، ولأنَّها أيضًا تقتضي جميعَ الصّفات[2]، وتدلُّ على أنَّه لا معبود إلّا هو، ويلزمه أن يكون خالقًا لكلِّ شيء بالاختيار، كما هو الواقع في نفس الأمر، والخلق بالاختيار يستحيل بدون العلم[3]، فذِكْرُ العلم بعد التّوحيد كذكر الدّليل على المدلول عليه؛ لأنّ العلم هو البرهان الأكيد على استحقاق الله تعالى للوحدانيّة، وبه يُعلم أنّ نقص العلم - لا انعدامه - مناقض للألوهيّة.

بلاغة التّعبير باسم الفاعل مضافًا:

علم الله تعالى أزليٌّ في رسوخه شاملٌ لكلّ خلقه

عبَّر النّظم الكريم عن علم الله تعالى بالاسم المشتقّ اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾؛ للدّلالة على أزليّة هذه الصّفة وأبديّتها، وأنّها لا تنفكّ عن الله سبحانه بحال من الأحوال، وذُكِرَ مضافًا إلى ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾؛ لأنَّ علم الغيب هو الّذي فارق به علمُ الله علمَ غيره، وذُكِرَ معه علمُ الشّهادة؛ للاحتراس من توهُّم أنَّه يعلم الحقائق العالية الكلّيَّة فقط، كما ذهب إليه فريقٌ من الفلاسفة

(1) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 4/ 321.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 119.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 255.

الأقدمين، ولأنَّ التّعريف في ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ للاستغراق، أي: كلُّ غيب وشهادة، وذلك ممّا لا يشاركه فيه غيره[1].

نوع الطّباق وبلاغته:

في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ طابق النّظم الكريم بين اسمين هما ﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾؛ للدّلالة على إحاطة علم الله تعالى بكلِّ شيءٍ، سواءٌ شاهده النّاسُ أم لم يشاهدوه، فالله سبحانه عالمٌ بالسِّرِّ والعلانيّة، عالمٌ بالدّنيا والآخرة، عالم بالمعدوم والموجود[2]، عالم بكلّ شيء، ولا يخفى عليه أيُّ شيء مهما دقَّ وخفي، ويدخل فيه ما بين المنافقين واليهود، وكلُّ ما ذكرته السّورةُ دخولًا أوليًّا.

اللهُ تعالى محيطٌ بكلِّ شيءٍ لا تخفى عليه خافية

فائدة ذكر ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾، مع ذكر ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾:

ذَكَر النّظم الكريم لفظ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾، مع أنّه إذا كان ﷻ عالمًا بكلِّ غيبٍ، فهو عالم بكلّ شهادة بالطّريق الأولى، وذلك لتأكيد العلم به، ودفعًا للظنّ بأنّ وصفه بعلم الغيب أمر نسبيّ، وأنّه سمّي غيبًا بالنّسبة لناس دون ناس، فدلَّ بذكر الضدِّ على أنّ المراد كلُّ ما غاب وكلُّ ما شُهِد[3]، وذلك من باب قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: 49].

علمُ الله تعالى الغيب دالٌّ على علمه الشّهادة من باب أولى

نكتة تقديم ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ على:

قُدِّمَ لفظ ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾ على لفظ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾؛ لأنَّ العلم به دليلٌ على العلم بالشّهادة، ويمكن أن يكون مقَدَّمًا في الذّكر لتقَدُّمه في الوجود على الشّهادة، فإنَّ كل شهادة كان غيبًا، وما برز ما برز إلّا من خزائن الغيب، ما يعني: أنّه قُدِّم لتقدُّمه في الوجود وتعلُّق العلمِ القديم به[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 119.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 3/ 463.
(3) البقاعيّ، روح المعاني: 19/ 466.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 233، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 255.

بلاغة تكرار الضّمير ﴿هُوَ﴾:

تأكيد اتّصاف الله تعالى بما مضى، وبما هو آتٍ

أعاد النّظمُ الكريم ذكرَ الضّمير العائد إلى الله سبحانه مع قرب العهد به، فقال: ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لتأكيد اتّصافه بما مضى، وتقوية اتّصافه بما هو آتٍ، والمعنى: إنَّ الّذي يعلم الغيب، ويطلع على ما خفي من أقوال خلائقه وأفعالهم - بما فيهم المنافقون واليهود الّذين حاربوا رسول الله، والمشركون الّذين عبدوا غير الله تعالى، وأخرجوا رسوله من مكّة - هو ذاتُه الرّحمنُ الرّحيمُ بهم وبغيرهم.

نكتة ذكر الرّحمة بعد التّوحيد والعلم:

أعظم ما يُعرِّف بالله تعالى بعد التّوحيد والعلم صفة الرّحمة

عبَّر البيانُ بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بعد ذكر صفة عموم العلم؛ لأنَّ عمومَ علمه يقتضي ألّا يغيب عنه شيءٌ من أحوال خلقه وحاجتهم إليه، ما يعني: أنَّ علمه تعالى مفضٍ إلى أن يرحم المحتاجين إلى رحمته، ويُمهل المعاندين إلى عقابِ الآخرة، فهو رحمن بهم في الدّنيا، رحيم بهم في الآخرة، وذلك جريًا على عادة القرآن في اتّباع اسم الجلالة بصفتي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، كما في البسملة والفاتحة وغيرهما[1]، وأيضًا فإنَّ صفتي الرّحمن الرّحيم من الأوصاف الّتي تُعرِّف بالله تعالى، فكان ذكرهما بعد صفة العلم لبيان ألصق الصّفات به سبحانه، بعد التّوحيد والعلم.

بلاغة القصر في جملة: ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

رحمةُ الأغيار لا اعتبار لها مع رحمة ربّ الأغيار

في جملة: ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قُصرت صفتي الرّحمة على ذات الله تعالى قصرًا حقيقيًّا، بطريق ضمير الفصل بين المسند إليه والمسند؛ للإشارة إلى بلوغه تعالى في الرّحمة مبلغًا لا يمكن لأحد أن يتصوَّرَه، أو يصلَ إليه، فرحمةُ غيره لا اعتداد بها لقصورها[2]، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: 156]، وقال النبيّ ﷺ:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 119، 120.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 119.

«جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ في مئة جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ في الأَرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عَن ولَدِها، خَشيَةَ أَنْ تُصيبَهُ»[1].

دلالة التّعبير بصيغة المبالغة لوصفي الرّحمة:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ اسمان من أسماء الله تعالى، أوثر الإخبار بهما عن ضميره؛ للدَّلالة على تأصُّل الرّحمانيّة والرّحيميّة فيه ﷻ، وأنَّهما من صفاته الأزليّة الأبديّة، الّتي لا تتبدّل، ولا تتغيّر، وصوغُ كلّ اسمٍ منهما بصيغة من صيغ المبالغة تأكيدٌ لبلوغه فيهما المبلغ الّذي ليس لأحدٍ أن يصلَ إليه، أو يقتربَ منه.

الرَّحمانيَّة والرّحيميّة من صفات الله الأزليّة الأبديّة

دلالة الجمع بين الرّحمانيّة والرّحيميّة:

الجمع بين الرّحمانيّة والرّحيميّة دالٌّ على اختلافهما، فالأوّل أخصُّ، والثّاني أعمُّ، وتعقيب الأوّل بالثّاني تعميمٌ بعد خاصٍّ[2]، ومدلول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مختصٌّ به تعالى، وكان أوّلُ إطلاقه ممّا خصّه به القرآنُ على التّحقيق، بحيث لم يكن التّوصيف به معروفًا عند العرب، ومدلول ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ في كون الرّحمة كثيرة التعلّق؛ إذ هو من أمثلة المبالغة، ولذلك كان يطلق على غير الله تعالى، كما في قوله تعالى في حقِّ رسوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: 128]، فليس ذِكر إحدى الصّفتين بمُغْنٍ عن الأخرى، وتقديم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ على ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنَّ الصِّفة الدّالّة على الاتّصاف الذّاتيّ أولى بالتّقديم في التّوصيف من الصّفة الدالّة على كثرة متعلّقاتها[3].

تعقيبُ الرّحمانيّةِ بالرّحيميّةِ تعميمٌ بعد خصوصٍ

وجه تكرار جملة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

أعاد النّظمُ الكريم جملة: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مع قرب

إبراز كمال الاعتناء بتوحيد الله تعالى بعد ذكر الغافلين عنه

(1) البخاريّ، صحيح البخاريّ، باب جعل الله الرّحمة في مئة جزء، حديث رقم: (5654)، ومسلم، صحيح مسلم: باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنّها سبقت غضبه، حديث رقم: (2752).

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 119.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 119.

العهد بها؛ لتعيين المتحدَّث عنه، وإبراز كمال الاعتناء بأمر التّوحيد، ولأنَّ المقام مقامُ تعظيم، وهو من مقامات التّكرير[1]، وفيه كذلك ضرب من التّأكيد على أنّ الإلهَ الواحد الّذي يتّصف بما سبق بيانه هو ذاته الإله الواحد المتَّصف أيضًا بما هو آتٍ، وأنَّ لكلّ صفة من صفاته، ولكل اسم من أسمائه دلائل وبراهين تؤكّد أزليّتها وأبديّتها في الله، وأيضًا فإنّ أثرها بادٍ بصورةٍ لا شكّ فيها فيما أنزله من قرآن تتصدَّعُ منه الجبالُ.

معنى ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾، ودلالة ترتيبه في الذِّكر:

رحمةُ الله تعالى فضلٌ منه وشأنُ المَلِك رحمة من دونه

صفة ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ خبر للضّمير العائد إلى اسم الجلالة، ومعناه: الحاكم في النّاس، والتّعريف فيه دالٌّ على أنّه لا مَلِكَ على التّحقيق إلّا الله تعالى، وأمّا وصف غيره بالمَلِك؛ فهو بالإضافة إلى طائفة معيّنة من النّاس، وزمن ومكان معيّنين، وتعقيب وصفي الرّحمة بوصف ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾؛ للإشارة إلى أنّ رحمة الله تعالى فضلٌ منه، وليست صادرة عن ضعف أو عدم اقتدار، وأنّه سبحانه مطلقُ التصرُّف، يرحم من يشاء، ويعذّب من يشاء[2]، كما قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١﴾ [العنكبوت: 21].

معنى ﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾، ودلالة ترتيبه في الذِّكر:

اللهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن نقائص الملوك وعن ظلم المملوكين

صفة ﴿ٱلۡقُدُّوسُ﴾ خبر للضّمير العائد إلى اسم الجلالة، ومعناه: البليغ في النّزاهة عمّا يُستقبَح في الذّات والأسماء والصّفات والأفعال والأحكام[3]، وعُقِّبَ به وصف ﴿ٱلۡمَلِكُ﴾ للاحتراس، والإشارة إلى أنّه تعالى منزَّهٌ عن نقائص الملوك المعروفة من الغرور، والاسترسال في الشّهوات، ونحو ذلك من نقائص النّفوس[4]، فإذا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 233، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 120.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 120.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 509، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/ 512، 513.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 120.

كان شأن ملوك الأرض الغطرسة والغرور، فإنّ شأن ملك الملوك النّزاهة عن ظلم العباد.

معنى ﴿ٱلسَّلَمُ﴾، وسبب ذكره بعد ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾:

الاحتراس بين صفات الله تعالى تثبيتٌ لمعاني الجلال والكمال

يحتمل اسم ﴿ٱلسَّلَمُ﴾ وجهين، الأوّل: أنّه مصدر بمعنى: السّلامة، وُصف به؛ مبالغةً في كونه سليمًا من النّقائص، فإن قيل: فعلى هذا التّفسير لا يبقى بين ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ و﴿ٱلسَّلَمُ﴾ فرق، قيل: كونه قدّوسًا إشارة إلى براءته عن جميع العيوب في الماضي والحاضر، وكونه سلامًا إشارة إلى أنّه لا يطرأ عليه شيء من العيوب في الزّمان المستقبل، فإنّ الّذي يطرأ عليه شيء من العيوب تزول سلامته، ولا يبقى سليمًا. الثّاني: أنّه سَلامٌ بمعنى: كونه موجبًا للسّلامة[1]. وبهذا ظهر تعقيب وصف ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ بوصف ﴿ٱلسَّلَمُ﴾، فإنّه بعد أن عقَّب بـ ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾؛ للدَّلالة على نزاهة ذاته؛ عقَّب بـ ﴿ٱلسَّلَمُ﴾؛ للدَّلالة على العدل في معاملته الخلق، وهذا احتراس أيضًا[2].

معنى ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾، ولطيفة ذكره بعد ما سبق:

الله تعالى وعد عبادَه بأمن الدّنيا والآخرة إن اعتقدوا الحقّ، وعملوا به

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ اسم فاعل من (آمن) الّذي همزته للتّعدية، ومعناه: جعل غيره آمنًا، فالله تعالى هو الّذي جعل الأمان في غالب أحوال الموجودات؛ إذ خلق نظام المخلوقات بعيدًا عن الأخطار والمصائب، وإنَّما تتعرَّض المخلوقات للمصائب بعوارض تتركَّب من تقارن أو تضادّ أو تعارض مصالحها، فيرجع أقواها ويدحض أدناها، وقد تأتي من جرّاء أفعال النّاس، وذكْرُ ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ عقب الأوصاف الّتي قبله إتمام للاحتراس من توهُّم وصفه تعالى بـ ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ أنّه كالملوك المعروفين بالنّقائص، فأفيد أوّلًا نزاهة ذاته بوصف ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾، ونزاهة تصرُّفاته الظّاهرة عن الجور

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 513.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 121.

والظّلم بوصف ﴿ٱلسَّلَمُ﴾، ونزاهة تصرُّفاته المغيّبة عن الغدر والكيد بوصف ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾[1].

معنى ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾، وسرُّ ذكرِه بعد ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾:

هيمنة الله على عباده بالقيام على أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم

معنى ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ هو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنّما قيامُه عليهم باطّلاعه واستيلائه وحفظه، والإشراف، أي: الاطِّلاع يرجع إلى العلم، والاستيلاء يرجع إلى كمال القدرة، والحفظ يرجع إلى الفعل، والجامع بين هذه المعاني اسمه: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾، ولن يجتمع ذلك الكمال إلّا لله تعالى، ولذلك كان القرآن الّذي هو صفته مهيمنًا على جميع الكتب الّتي قبله، مصدِّقًا لما يستحقّ التّصديق منها، مكذِّبًا لما يستحقُّ التّكذيب، فمن كان به أمهر؛ كان بذلك أعلم[2]، وتعقيب ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ بـ ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾؛ لدفع توهُّم أنَّ تأمينه عن ضعف أو عن مخافة غيره، والمعنى: اعلموا أنَّ تأمينه راجعٌ لحكمته، مع أنَّه رقيب مطّلع على أحوال خلقه، فتأمينُه إيّاهم رحمةٌ بهم[3].

معنى ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾، ووجه مجيئه بعد ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾:

هيمنةُ اللهِ تعالى عن عزّةٍ وعدمِ افتقار

معنى ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الّذي لا يُقهر[4]، وقد جيء به بعد ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾؛ للدّلالة على أنّ هيمنة الله على كل ما يتّصل بخلقه حاصلةٌ عن عزّة وعدم افتقار، فالعزّة هي: الغلبة الّتي لا يجد معها المغلوب وجهَ مدافعةٍ ولا انفلاتٍ ولا إعجازٍ، ومن ثمّ فـ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ هو: الّذي صعب على طالبه إدراكُه مع افتقار كلِّ شيء إليه في كلّ لحظة، الشّديدُ في انتقامه الّذي لا معجز له في إنفاذ حكمه[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 121.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 472.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 122.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 122.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 472.

معنى ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ وعلّة ذكره بعد ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾:

جبرُ الخلق على إرادةِ الله تعالى لإصلاح نظام الكون للجميع

صفة ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ خبرٌ من الأخبار المتعدّدة للضّمير العائد إلى اسم الجلالة، ومعناه: الّذي جَبَرَ خلقَه على ما أراد، أو جَبَرَ أحوالهم، أي: أصلحها[1]، وجيء به بعد اسم الله ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾؛ للدّلالة على أن الله تعالى يسخر المخلوقات لإرادته[2]، فلا يشذُّ منها أحدٌ عمّا أراده، والكلُّ يؤدّي وظيفته الّتي تسهم في بقاء كونه صالحًا لهم جميعًا، ويُفهم منه أنّه تعالى يسلّط على المفسدين مَنْ يردعهم، وعلى الظّالمين مَنْ يقهرهم، وعلى الكفّار مَنْ يذيقهم الذلّ في الدّنيا قبل أن يذيقهم العذاب الأليم في الآخرة، أمّا مَنْ ساروا وفق ما يريد، فأصلحوا، ولم يفسدوا، وقدّموا ليوم القيامة؛ فهُم أصحاب الجنّة الفائزون.

معنى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾، ووجه مجيئه بعد ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾:

كبرياءُ اللهِ تعالى يصغُر دونه كلُّ شيء

معنى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ بليغُ الكبرياء والعظمة والتنزُّه عمّا لا يليق بذاته، وأصل صيغة التَّفَعُّل أن تدلّ على التَّكلُّف، لكنّها استُعملت هنا في لازم التكلُّف وهو القوّة؛ إذ الفعل الصّادر عن تأنُّق وتكلُّف يكون أقوى وأبلغ[3]، وجيء به بعد وصف ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾؛ للدّلالة على أنّ الله تعالى ذو الجبروت وذو الكبرياء الّذي يصغر كلُّ شيء دون كبريائه وبهما وبما سبقهما يجتمع في أسماء الله تعالى وصفاته ما يُطمع وما يُخيف.

نكتة ذكر ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بعد صفة ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾:

كبرياء الخالق مباينةٌ لكبرياء المخلوقين

من جميل ما قيل: لمّا ذُكر اسم الله ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾؛ قال تعالى بعده: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، كأنّه قيل: إنّ المخلوقين قد يتكبّرون ويدَّعون مشاركة الله في هذا الوصف لكنّه سبحانه منزّه عن التكبّر الحاصل للخلق؛ لأنّهم ناقصون بحسب ذواتهم، فادّعاؤهم الكبر

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 234.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 123.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 257، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 123.

يكون ضمّ نقصان الكذب إلى النّقصان الذاتيّ، أمّا الحقُّ سبحانه؛ فله العلوُّ والعزَّةُ، فإذا أظهره؛ كان ذلك ضمَّ كمال إلى كمال، فـ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ في إثبات صفة المتكبريّة للخلق[1].

موقع جملة: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ ودلالتها:

التَّذييل بالتّنزيه رعايةٌ للعقل في معرفة الكمال المطلق لخالق السّماوات

جملة: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ تذييل يؤكّد اتّصاف الله بما سبق من صفات، ويقوّي استحقاقه التّعظيم والتّنزيه عن الشّركاء الّذين لا يمكن لهم، ولا لأحد منهم أن يشاركه تعالى في هذه الصّفات ولا في شيء منها أصلًا[2]، ووجه تنزيهه سبحانه بعد ذكر طائفة من أسمائه وصفاته: أنّه لمّا تقرَّر بما ذكر من مظاهر عظمته استيلاؤه على الظّواهر والبواطن باللُّطف والعنف؛ أنتج ذلك تعاليه عن شوب نقص لا سيّما بالشّرك، فقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، أي: تنزّه الملك الأعلى الّذي اختصّ بجميع صفات الكمال تنزُّهًا لا تدرك العقول منه أكثر من أنَّه علا عن أوصاف الخلق، فلا يدانيه شيء من نقص[3].

دلالة التّعبير بحرف الجرّ (عَنْ):

صفات الكمالِ المطلق تتنزّه عن سلوك المشركين فـي انـتـقـاص الألوهيّة

(عَنْ) في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد المجاوزة، وهو أصل معانيه[4]، وفي التّعبير به دلالة على البعد الشّديد والبون الّذي لا حدود له بين الله المتّصف بالصّفات السّابق ذكرها، الجامع بين الكمال والجلال، وبين الآلهة التي يعبدونها من دونه، ويشركونها معه، وهي لا تتّصف بشيء ممّا يتّصفُ به ﷻ، وتقدَّستْ أسماؤُه.

نوع (ما) ودلالتها:

(ما) في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ اسم موصول،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 514.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 234.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 474.
(4) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 246.

عُبِّر به؛ ليشمل تنزيه الله وتعاليه جميعَ الآلهة الّتي يشركونها معه أيًّا كانت ومهما كانت، والمعنى: تعالى الله عمّا يشركون من هذه المخلوقات من الأصنام وغيرها، ممّا في الأرض أو في السّماء، من كبير وصغير، وجليل وحقير[1]، والتّعبير بالموصول باعتبار أنَّ مضمونَ الصّلة، وهو فعل الشّرك المسند إلى الغافلين معلومٌ معهود، فهو إشارةٌ إلى ما يعلمه النّاس من الشّرك بالله تعالى، واختيار (ما) دون الّذي أعطاها فوق هذا المعنى دلالة عامّة، تشمل كلَّ ما يقع فيه المشركون إلى يوم القيامة.

تنزيهُ الله تعالى وصفاتِه العليّة عن كلِّ شركٍ إلى يوم الدّين

وتحتمل (ما) أن تكون مصدريّة، والمعنى: سبحان الله عن إشراكهم، فيتسلَّط التّنزيه على السّلوك.

لطيفة التّعبير بالمضارع:

جاء التّعبير في جملة الصّلة بصيغ الفعل المضارع ﴿يُشْرِكُونَ﴾؛ لما يُفيده من التّجدُّد الدّال على شمول تنزيه الله وتعاليه جميع الآلهة الّتي تُتّخذُ من دونه في الماضي والحاضر والمستقبل؛ إذ لو عبّر بالماضي؛ فقال: (سبحان الله عما أشركوا)؛ لاختصَّ بما سبق منهم، ولأوهم أنَّهم أقلعوا عن شركهم، وأفاد احتمال أن يقع الشّرك في المستقبل قياسًا على ما كان منهم، لكنَّ المضارع نصٌّ في استمرار الشِّرك، وبقائه إلى يوم الدّين؛ إذ تنزيه الله تعالى وصفاته عن الشّرك، أمرٌ جلَلٌ يقتضي الالتفات إلى عظيم شأنه في البشريّة، وأثره في فساد البريّة.

الشِّرك أقبح ما اقترفه البشر وأفسد ما جاء به المجرمون

نكتة حذف متعلّق ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

حُذِفَ متعلِّق فعل الإشراك؛ ليشمل المعنى: تنزيه الله سبحانه عن الشّركاء الّذين عبدوهم من دونه، ويشمل كذلك تعاليه عن الشّرك الذي يفعلونه، والمعنى: تعالى الله عما يشركونه به، وعن

اللهُ سبحانه مُنَزَّهٌ عن كلِّ شركٍ ومُنَزَّهٌ عن ادّعاء المشركين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 474.

إشراكهم به سبحانه[1]، على الرّغم من اتّصافه بما سبق وبما هو آتٍ، وعلى الرّغم من عدم اتّصاف الشّركاء بشيء ممّا يتّصف به.

بلاغة إعادة التّعبير بالضّمير: ﴿هُوَ﴾:

مقامُ التّعظيم والتّفخيم يقتضي التّكرير لإثبات المعنى من كلّ وجهٍ

أعاد النّظم التّعبيرَ بالضّمير العائد إلى اسم الجلالة العلم في صدر الآية الأخيرة من السّورة الكريمة، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾؛ لما سبق بيانه من تعيين المتحدّث عنه؛ تعيينًا يحول دون صرف الحديث عنه، وإبرازًا لكمال الاعتناء بأمر ألوهيّته، ولأنَّ المقام مقامُ تعظيم، وهو من مقامات التّكرير، وفيه كذلك ضرب من التّأكيد على أنَّ الإلهَ الّذي يتّصف بما سبق بيانه هو ذاتُه الإلهُ المتّصف بما هو آتٍ.

فائدة تكرار اسم الجلالة:

توريث الطُّمأنينة وإيداع الهيبة في النّفوس والسّكينة في الصّدور

آثر النّظم الكريم ذكر اسم الجلالة ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾؛ دون أن يقول: (هو الخالق) مع تعيُّن معرفة المقصود؛ وذلك لأمرٍ روحيٍّ إيمانيٍّ؛ فإنَّ تكرار الاسم العَلَم يورِّث في النّفس المؤمنة الطُّمأنينة والهيبة العليّة والرّاحة والسّكينة، ولبيان أنَّ مدارَ الصّفات على الاسم الجليل، وأنّه يجب أن يحضر في كلِّ سياق؛ ليُبنى عليه ما بعده، و"لتأكيد ما سبق ذكره من أنّه أخصُّ الأسماء وأشهرُها، وأنّه الجامعُ للأسماء كلّها"[2]، وأنّه الإلهُ الّذي يدعو رسولُ الله النّاسَ إلى عبادته، والإقرارِ بألوهيّته، ولأنّ "الجمع بين الضّمير وما يساوي مُعادَةَ اعتبارٍ بأنَّ اسمَ الجلالة يجمع صفات الكمال؛ لأنَّ أصلَه الإله، ومدلول الإله يقتضي جميعَ صفات الكمال والجلال"[3].

معنى وصف ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾:

كلُّ ادّعاءٍ للقدرة على الخلق فهو رامٍ إلى الشّرك المطلق

صفة ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ هي اسم فاعل من الفعل: خَلَقَ، ومعناه: المُقَدِّرُ للأشياء على مقتضى الحكمة، أو مبدعُ الأشياء من غير أصل ولا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 234.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 464، 475.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 118.

احتذاء[1]، وتعريفه بـ (أل) دالٌّ على أنّه لا خالق في الحقيقة إلّا الله سبحانه، ولا اعتداد بأيّ محاولات؛ للاختراع أو الابتكار صادرة من بعض خلقه؛ لأنّها ناقصة غير مكتملة، كما أنّه لا يستطيع أحدٌ إيجاد شيء من العدم، أو على غير مثال سابق إلّا اللّه جلّ في علاه، فالخالق في الحقيقة هو: الّذي كلُّ شيء عنده بمقدار[2]، وهذا لا يكون إلّا لله جلّ في علاه.

معنى وصف ﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ ودلالة ترتيب ذكره:

﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ اسم فاعل من برأ مهموزًا، المميّز لما يوجده بعضه من بعض بالأشكال المختلفة، وهو مغاير لمعنى الخالق بالخصوص، وهو الموجد للأشياء بريئةً من التّفاوت على ما تقتضيه الحكمة والجبلّة، وقيل: المميّز الأشياء بعضها عن بعض بالأشكال المختلفة، وقيل: البارئ: خالق النّاس من البرى (مقصورًا)، وهو التّراب خاصًّا بخلق جنس الإنسان، وعليه يكون اسم البريئة خاصًّا بالبشر[3]، وهو المناسب لترتيب ذكره بعد الخالق، وقبل المصوّر.

البارئ خالق البريّة فهو أخصُّ من الخالق وأعم من المصوّر

معنى صفة ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾:

اسمُ الله: ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ معناه: المُمَيِّز ما يصوِّره بتفاوت الهيئات، وقيل: الموجِدُ لصور الأشياء وكيفيّاتها على ما أراد[4].

دلالة ترتيب الأسماء الثّلاثة:

بدأ النّظمُ الكريمُ بذكر اسم الله: ﴿ٱلۡخَالِقُ﴾ مُقَدَّمًا على: ﴿ٱلۡبَارِئُ﴾؛ لأنّ ترجيحَ الإرادة مقدَّمٌ على تأثير القدرة، وقَدَّمَ: ﴿ٱلۡبَارِئُ﴾ على ﴿ٱلۡمُصَوِّرُ﴾؛ لأنَّ إيجاد الذّوات مقدَّمٌ على إيجاد

تتابع الصّفات الثّلاث يساعد في تصوُّرِ الإبداع الإلهيّ للإنسان

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 234، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 257.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 475.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 509، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 257، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 125.
(4) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 509، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 257.

الصّفات[1]، وقيل: ذُكِرَتْ هذه الصِّفات متتابعة؛ لأنَّ من مجموعها يحصل تصوُّرُ الإبداع الإلهيّ للإنسان، فابتُدِئَ بالخالق، الّذي هو الإيجاد الأصليّ، ثم بالبَرْءِ، الّذي هو: تكوين جسم الإنسان، ثم بالتَّصَوُّر الّذي هو إعطاء الصّورة الحسنة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 7 - 8][2].

وجه ذكر هذه الأسماء بعد ما سبقها:

تنبيهُ البشرِ على أصل خلقهم وتصويرهم ليقع منهم الشُّكر

ذكَر البيانُ الكريمُ أسماءَ ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ عقبَ الصّفات المتقدّمة؛ لأنَّ المراد منها: الإشارة إلى تصرُّف الله تعالى في البشر بإيجادِهم على الكيفيّة البديعة، الّتي هم عليها؛ ليثير داعية شكرهم ذلك بتنزيههم لخالقهم وعبادتهم له عبادة دائمة لا تنقطع، ولذلك عقَّب بقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3].

علّة فصل جملة: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

التّذييل توكيد للسّابق وإجمال للتّفاصيل

جاءت جملة: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مفصولةً عمّا قبلها؛ لأنّها بمنزلة التّذييل المؤكِّد اتّصاف الله تعالى بمدلولات الأسماء والصّفات السّابق ذكرها، والمعنى: له جميعُ الأسماء الحسنى الّتي منها الصّفاتُ المذكورةُ آنفًا، فيما يُعرف بكمال الاتّصال الّذي تنزلُ فيه الجملةُ الثّانيةُ من الأولى منزلةَ التّابعِ من المتبوعِ.

نوع اللّام ودلالتها:

قولُه: ﴿لَهُ﴾ خبر مقدَّم، والضّمير فيه يعود إلى اسم الجلالة العلم، واللّام حرف جرٍّ يفيد اختصاص الله سبحانه بمدلولات الأسماء الحسنى ومعانيها، أي: لله تعالى خاصّة، وليست لأحدٍ غيرِه[4].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 514.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 125.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 125.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 475.

غرض تقديم ﴿لَهُ﴾ على المسند إليه:

اعتقاد أنَّ الأسماء الحسنى لله وحده دون سواه توحيدٌ خالص

سبق القولُ بأنَّ ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور في محل رفع خبر مقدَّم، وقولُه: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾ مبتدأ مُؤَخَّر، وتقديم المسند على المسند إليه؛ لزيادة الاهتمام المفيد تأكيد استحقاق المولى سبحانه إيّاها، المستفاد من اللّام، والمعنى: أن اتِّسامَه بها أمرٌ ثابتٌ مُؤَكَّد[1]، والتّقديم قد أفاد اختصاصَه بالأسماء الحسنى، وهو ما يدلُّ على أنَّ الأسماء الحسنى ليست لغيرِه، ولا يتَّصف بها أحدٌ سواه، واعتقاد ذلك من توحيد الأسماء والصّفات، الّتي نطقت به جملة الآيات.

نكتة التّعبير بـ ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾:

جمع لفظ الأسماء بين وجوب الاعتقاد وكثرة ذكر الألسن، وهو طريق العالمين

المراد بـ ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾: صفاتُ اللّه ﷻ، عبَّر عنها بـ ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾؛ لأنّه تعالى مُتَّصِفٌ بها على ألسنة خلقه، ولكونها بالغةً منتهى حقائقِها بالنّسبة لوصفه تعالى بها، فصارت كالأعلام على ذاته ﷻ[2]، والمقصود بنعتها بالأسماء: هو أن تكون جاريةً على ألسنة العباد، ولو نعتها بالصِّفات الحسنى؛ لظُنَّ توجيه الأنظار لاعتقادها في اللّه تعالى، فجمع لفظ الأسماء بين الاعتقاد الحسن، وبين أن تكون جاريةً على الألسن، أي: بين المعتقد والذّكر، وهو طريق العارفين.

دلالة وصف ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾ بـ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

أسماء الله تعالى هي أحسن الأسماء لدلالتها على أفضل المعاني

أوثر الوصف بقوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ صفة لـ ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾؛ للإشارة إلى ما في مدلولات هذه الأسماء من معانٍ حسنة تساعد النّاس على أن يعرفوا ربَّهم، فيقدّروه حقَّ التّقدير، ويعظّموه حقَّ التَّعظيم، كما أنّها تضبط سلوكهم، وترغبهم في عبادته وتسبيحه، وتخيفهم من معصيته والكفر به، والمعنى: له الأسماء الّتي هي أحسن الأسماء؛ لدلالتها على أفضل المعاني، من مُلْك، ورحمة، وقُدسيّة، وسلام،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 186.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 126.

وقدرة، ومغفرة، وسمْعٍ وغير ذلك من الأسماء الكريمة والصّفات الجليلة، الّتي لا يتمُّ التّصوير إلّا بها، ولا تدركونه أنتم حقَّ الإدراك إلّا من خلالها[1].

وقيل: وصفت ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾ بـ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾؛ لأنّها دالّة على ثبوت صفات كمال حقيقيّ، أمّا بعضها؛ فلأنّ معانيها الكاملة لم تثبت إلّا لله نحو الحيّ، والعزيز، والحكيم، والغنيّ، وأمّا البعض الآخر؛ فلأنَّ معانيها مطلقًا لا يحسن الاتّصاف بها إلّا في جانب الله نحو المتكبّر، والجبّار؛ لأنَّ معاني هذه الصّفات وأشباهها كانت نقصًا في المخلوق، من حيث إنَّ المتّسم بها لم يكن مستحقًّا لها لعجزه أو لحاجته، بخلاف الإله؛ لأنَّه الغنيّ المطلق، فكان اتّصاف المخلوق بها منشأ فساد في الأرض، وكان اتّصاف الخالق بها منشأ صلاح؛ لأنَّها مصدر العدالة والجزاء القسط[2].

بلاغة التّفضيل في وصف ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾:

جاءت صفة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ على صيغة التّفضيل؛ للإشارة إلى أنّها بالغةٌ في حسن المعاني والدّلالات المبلغ الّذي لا مزيد عليه، ولا وصول إليه، فهي تعني: أنَّ الله تعالى هو المتّصفُ بالحسن الكامل في ذاته، المقبول لدى العقول السّليمة المجرّدة عن الهوى، وليس المراد بالحسن: الملاءمة لجميع النّاس؛ لأنَّ الملاءمة وصف إضافة نسبيّ، فقد يلائم زيدًا ما لا يلائم عَمْرًا؛ لذلك فالحسنُ صفةٌ ذاتيَّة للشَّيء الحسن[3].

صفاتُ الله تعالى ذات حسنٍ كاملٍ وكمالٍ تامّ

موقع جملة ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾ ودلالتها:

قولُه تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ جملةٌ في موضع الحال من الضّمير المجرور في قوله: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾،

اتّصافُ الله تعالى بالصّفات الحسنى علّة تعظيم جميع المخلوقات له

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 479.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 187.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/ 186.

وهي تعني: أنَّ اتّصافَ الله تعالى بالصّفات الحُسنى يدفع ما في السّماوات والأرض من العقلاء إلى تعظيمه بالتّسبيح والتّنزيه عن النّقائص، فكلُّ صنفٍ يبعثه علمُه ببعض أسماء الله تعالى على أن ينزِّهَه ويسبِّحه، بقصد أو بغير قصد[1].

نكتة التّعبير بالمضارع: ﴿يُسَبِّحُ﴾:

استحضار الصّورة الجميلة يجعل الشاذَّ عنها قبيحًا رذيلًا

آثر النّظم الكريمُ التّعبير بصيغة المضارع لفعل ﴿يُسَبِّحُ﴾؛ لما يفيده من الدَّلالة على تجدُّد التَّسبيح واستمراره بصورة دائمة لا تتوقَّف، ولا تنقطع، ولما يمتاز به المضارع من إثارة المتلقّي إلى استحضار صورة الكون، وقد انخرطت كلُّ كائناته في تسبيح الله تعالى وتنزيهه، فيبقى مَن لا يفعل ذلك شاذًّا في كون الله الفسيح، نافرًا ممّا أقبلت عليه معظمُ المخلوقات طائعةً مختارةً، ما يدفعه إلى أن يكون جزءًا من الصّورة، وأن يربأ بنفسه عن أن يكون نافرًا شاذًّا.

موقع ﴿لَهُۥ﴾ الإعرابيّ، ولطيفة تقديمه:

اختصاص التّسبيح بالله تعالى خاصيَّة لا تكون لغيره

قولُه: ﴿لَهُۥ﴾ جارّ ومجرور متعلِّق بفعل التّسبيح، واللّام فيه حرف جرٍّ يفيد اختصاص اللهِ بتسبيح ما في السّماوات والأرض، والمعنى: يسبّح لله ما في السّماوات والأرض على وجه التّخصيص[2]، وجيء بـ ﴿لَهُۥ﴾ مُقَدَّمًا على الاسم الموصول؛ لتقوية اختصاص الله تعالى بالتّسبيح والتّنزيه دون غيره؛ فدلَّ على الاختصاص الحرف، وموقع ﴿لَهُۥ﴾.

بلاغة استعمال الاسم الموصول:

الكونُ كلُّه يُسبِّح لله تعالى

أُسنِد فعلُ التَّسبيح إلى الاسم الموصول العامّ ﴿مَا﴾؛ وذلك ليشمل المعنى جميعَ ما في السّماوات من الكواكب والنّجوم كالشّمس والقمر وغيرهما من الكواكب المبثوثة في السّماوات، والملائكة الّتي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 127.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 479.

لا يقتصر وجودُها على سماءٍ بعينها؛ ليعلمَ المخاطَبون أنّ كلَّ ما في السّماوات مِنْ كائناتٍ ومخلوقاتٍ - أيًّا كانت، ومهما كانت - عبيدٌ لله ﷻ، فدلالة العموم هي الحاضرة في لفظ ﴿مَا﴾، وهي المناسبة لمقتضى تسبيح الكون كلِّه لله تعالى.

بلاغة التّعبير بحرف الظرفيّة:

جاء التّعبير بحرف الظرفيّة في قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ للدّلالة على أنَّ كلّ الكائنات والمخلوقات الّتي تقع داخل أقطار السّماوات والأرض، وتحيط بها إحاطة الظّرف بالمظروف تسبِّح لله تعالى بلا فتور ولا انقطاع، سواءٌ عَلِمَها النّاس أم لم يعلموها، وسواء أكان تسبيحُها اختيارًا أم اضطرارًا.

السّماء تحيط بالمسبّحين إحاطة الظّرف بالمظروف

نكتة جمع السّماوات:

درج البيانُ القرآنيُّ على جمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ لأنَّ الجمعَ يتناسب مع التّنزيه والتّمجيد؛ لما يدلّ عليه من سعة الكون المُسَبِّح وعظمته، ولأسرار أخرى منها: أنّ السّماوات أشرفُ من الأرض، والجمعَ أبلغُ في التّفخيم من الوحيد، ومنها: أنّ أوامرَ الله تعالى إلى الأرض تخترق جميعَ السّماوات السّبع، وهو ما يزيد شرفَها وأفضليتَها، ومنها أنّ السّماواتِ طباقٌ، بعضُها فوق بعض[1]، وفي كلّ طبقة منها ملائكة ومخلوقات وكواكب تسبّح الله وتمجِّده، والملحوظ بصفة عامّة أنّ البيان الكريم يجمع السّماوات في كلّ مقام يُراد فيه إبراز جلال الله، وعظمة قدرته، وسعة ملكه؛ ليكون في ذلك الإبراز ما يدعو إلى التأمُّل وتوجيه البصائر والأبصار إلى ما وراء هذا الأفق المحدود الّذي يعيش فيه مَن لا يمدّون أبصارهم إلى أكثر من مواقع أقدامهم[2]، كما سبق بيانه.

جمع السّماوات فيه إبراز لجلال الله، وعظمة قدرته

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/ 92، والنسفيّ، مدارك التنّزيل وحقائق التّأويل: 1/ 489، والخفاجيّ، حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي: 4/ 3.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 4/ 119.

نكتة إفراد ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

عادةُ التّعبير القرآنيّ استعمالُ الكلمةِ السّهلةِ الخفيفةِ

كما درج البيانُ القرآنيّ على جمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ درج أيضًا على إفراد ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ وذلك لأنَّ الأرض وإن كانت سبعًا، فليس بعضها فوق بعض، بل بعضُها موالٍ لبعض[1]، وقيل: إنَّ الأرض طبقاتٌ، بين كلٍّ منها والأخرى مسافةٌ عظيمةٌ، وفيها مخلوقات على ما وردت به الأحاديث، والنّكتةُ في إفراد القرآن لها: أنّ جمعها ثقيل، وهو مخالف للقياس كأرضون، ولذا لمّا أراد الله تعالى ذلك؛ قال: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12]، ولم يجمعها، وربَّ مفردٍ لم يقع في القرآن جمعُه لثقله وخفَّة المفرد، وجمعٍ لم يقعْ في الذِّكْر مفردُه كالألباب[2].

لطيفة تقديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

مَنْ في السّماء أسبق تسبيحًا وأكثر ممَّن في الأرض

قَدَّمت الآيةُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنَّ أهل السّماوات أسبقُ وجودًا من أهل الأرض، وأيضًا فإنَّهم أسبقُ تسبيحًا قبل خلق آدم ﷺ، ولأنَّهم كذلك أكثرُ تسبيحًا، وأكثرُ مداومة على التّنزيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: 19 - 20][3].

دلالة العطف بالواو:

جاء قولُه تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ معطوفًا على ما قبله بالواو الّتي تُفيد المشاركة؛ للدّلالة على أنَّ الكون كلَّه بسمائه وأرضه، بما فيه ومَنْ فيه يسبّح لله تعالى، وينزّهه، ويعترف بفضله وألوهيّته.

نوع الطّباق وبلاغته:

الطّباق بين العلوّ المتمثّل بالسّماء والسّفل المتمثّل بالأرض

في الجملة الكريمة نوعٌ من الطِّباق يُسمّى الطِّباق الخفيّ؛ لأنَّ التّضاد فيه ليس بين اللّفظين مباشرةً، لكنّه حاصلٌ بين لازم كلٍّ

(1) النسفيّ، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 1/ 489.
(2) الخفاجيّ، حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي: 2/ 261.
(3) السّامرائيّ، لمسات بيانيّة في نصوص من التّنزيل، ص: 123.

طرف منهما، فالسّماوات تطابق الأرض باعتبار أنّ الأولى تدلّ على جهة الأعلى والثّانية على جهة الأسفل، وأيًّا كان نوع الطّباق، فالجمع بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ في قرن واحد يدلّ على أنَّ الكون كلَّه لا يفتر عن تسبيح الله وعبادته وتمجيده، ما يعني: أنّ التّسبيح هو نشيد الكون الّذي لا يتوقّف، ولا ينقطع، وأنَّ الّذي لا يسبح الله، ولا ينزّهه شاذٌّ عن الكون وما فيه.

نوع الواو ودلالتها:

الواو في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ تحتمل أن تكون لعطف ما بعدها على جملة الحال، ويمكن أن تكون للحال، والجملة بعدها حاليّة دالَّة على أنّ العزّة والحكمة هي حال الله الّتي لا تتبدّل، ولا تتغيّر، وأنَّ تسبيح الكون بما فيه ومن فيه وتنزيهه له ما حصل إلّا لاتّصافه بما سبق ذكره من أسماء وصفات، وأيضًا لكونه عزيزًا لا يُغلب، حكيمًا لا يَزِلُّ، وأنَّ تسبيح الكون أو عدم تسبيحه، أو امتناع أحدٍ فيه عن التّسبيح لن يُنقِص من عزّته، ولن يُؤَثِّر في حكمتِه أو ربوبيتِه، فالخلق هم الفقراء إليه، بينما هو الغنيّ عنهم أجمعين.

الخلق هم المحتاجون إلى الله، والله سبحانه هو الغنيّ عنهم

نوع القصر ودلالته في جملة الختام:

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قَصَر النَّظمُ صفتي العزّة والحكمة على كونهما ثابتتين لله تعالى، بعد نفيهما عن أيِّ أحدٍ آخر، قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًّا، طريقه تعريف الطّرفين، بقصد زيادة التّأكيد؛ لكون الله تعالى مستحقًّا للتّسبيح، وفي الوقت نفسه مستغنيًا عنه، لا يضيره تفريطُ أحد فيه أو جحودُ أحد له؛ لأنَّ الخلقَ هم المحتاجون إليه، الملتجِئون إليه.

الله غنيٌّ عن تسبيح المسبّحين، ولا يضرّه جحود الجاحدين

وجه تقديم ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ على ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾:

قدَّمت الآيةُ صفة ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ على ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ لأنَّ العزيز هو

الغالب، ولأنَّه تعالى لمّا عَزَّ في ذاته بالغلبة؛ حَكَمَ على كلِّ شيء، فلم يخرج عن حكمة ملكه خارج[1].

بلاغة ردّ عجز السّورة على صدرها:

نِعَمُ اللهِ الخاصَّة والعامَّة توجب على الخلق تنزيهه وشكره

افتُتِحت السّورة الكريمة بالإخبار بتسبيح الكون لله تعالى في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، واختُتِمت بالإخبار بأنَّ الكون كلَّه منخرط في تسبيحه وتنزيهه بصورة متجدِّدة لا تتوقَّف، ولا تنقطع في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، فيما يُسمّى بلاغيًّا بردِّ الأعجاز على الصّدور، والغرض منه: التَّنبيه إلى أن ما ذكرته السّورة الكريمة بين صدرها وعجزها من نِعم الله العامّة، وأفضاله ومنَنِه الخاصّة يفرض على النّاس ضرورة الانشغال بتسبيح الله تعالى وتنزيهه بصورة لا تتوقَّف، ولا تنقطع؛ شكرًا له سبحانه على ما أنعم، وتناغمًا مع الكون الَّذي لا يفتر كلٌّ من فيه عن التَّسبيح والتَّنزيه بلسان الحال أو بلسان المقال.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخالِقُ والبارِئ:

الخالق الموجد للخلقِ كلِّه والبارئ لموجِدِ البريّات على وجه الخصوص

(الخالِقُ) اسم فاعل من خَلَقَ، ومعناه: المُقَدِّرُ للأشياء على مقتضى الحكمة، أومبدعُ الأشياء من غير أصل ولا احتذاء[2]، و(البارِئُ) معناه: الموجِدُ للأشياء بريئةً من التّفاوت على ما تقتضيه الحكمة والجبلَّة، وقيل: المميِّز الأشياء بعضها عن بعض بالأشكال المختلفة[3]، أو خالق البشر من البرى، وهو التُّراب، ولمّا كان قصد الآية بيان استحقاق الله تعالى للتّسبيح والتّنزيه؛ ذَكَر من أسمائه

(1) العلويّ، الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 2/ 34.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 234، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 257.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 509، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 257.

وصفاته ما يدلّ على إنعامه على الإنسان بنعمةِ الإيجاد ونعمة البراءة من العيوب؛ لبيان أنّ خلْقَه له لم يكن مجرّد إيجاد، بل كان إيجادًا على أحسن صورة وأجمل شكل، أو أنّ الخالق صفة عامّة للخلقِ كلّه، والبارئ لخصوص البريّة، وهم البشر.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"